المصدر: السياسى المصرى
التاريخ : ١٩٩٣/٦/١٣

د. محمد اسماعيل على يكتب :

ذكريات وانطباعات شخصية مع الرئيس السادات .. وعنه

الانقلاب الذى دبره منصور حسن !!

السؤال الذى أشعل الصراع بين المحافظين وأمناء الحزب الوطنى

السادات كان يعلم بما يدور فى مركز الدراسات الوطنية عن طريق « عديله » !

حماس « الصفوة » فى تلويث كل ناجح .. ورثاء كل فاشل

مجلة لبنانية تتسبب فى إحداث الوقيعة بين منصور حسن ورئاسة الرئاسة

فوجئنا فى مركز الدراسات الوطنية باشتعال الصراع بين المحافظين وامناء الحزب الوطنى بالمحافظات .. فقد دار السؤال الهام الذى لم نكن ـ بكل النوايا الطيبة ـ نعمل له اى حساب .

كان السؤال هو : هل المحافظ هو الذى يختار المرشحين لدورات التثقيف السياسى . رغم انه ليس شخصا شعبيا ، بل اداة تنفيذية أم ان امين الحزب هو الذى يقوم بهذا الترشيح رغم مافى ذلك من معنى ابقاء الحال على ماهو عليه داخل الحزب فلا يتم التطوير ولايتم التغيير !

□ كان لمنصور حسن رؤية ثاقبة فى هذا الموضوع ايدته فيها تماما وهى عدم حصر الترشيح فى جهة واحدة بل فى عدة جهات لان عملنا يقوم اساسا على (تطوير) و(تطهير) الحزب ولايمكن ان نقوم بهذه المهمة من خلال نفس الادوات التى افرزت الحزب بشكلة الراهن ، والا كنا ندور فى حلقة مفرغة .

وتعددت الاجتماعات والسهرات حتى الفجر دون الوصول الى نتيجة والحقيقة ان هذه المشكلة اثارها منذ البداية المرحوم محمود ابو وافية امين الحزب بالبحيرة ولما كنا نعلم ان (ابو وافيه) هو (عديل) الرئيس ، اى زوج اخت السيدة جيهان السادات ، فقد كنا نتوقع اتجاه الريح !!

ووصلت اخبار المنازعات بطبيعة الاحوال الى الرئيس ..

□□□

كانت المشكلة الرئيسية ان منصور حسن ، رغم تمتعه بثقة الرئيس المطلقة ، فانه كان يعمل وحده داخل جهاز الحكم والحزب على نشر اتجاه محدد هو تطوير وتطهير الحزب . واذكر انه قال له بنبرة حزن واضحة .

ـ اننى اقف وحدى ، ضد عشرات المستفيدين من الاوضاع الحالية .

فقلت له : لكنك قريب جدا من الرئيس ، ويثق فيك تماما .. ثم انه فوضك بهذه المهمة .. فأنت الاقوى ..

قال وقد نظر الى صورة السادات المعلقة على الحائط : ـ هذا صحيح .. لكن كم مرة ساقابلة واشرح له وجهة نظرى .. وكم مرة سيقابلونه ويسفهون ما قلته !!؟ قد يسمعنى مرة .. ولكنه سيسمع اراءهم عشرات المرات لانه يقابل منهم العشرات .. ويعنى ذلك انه سيتاثر بعملية الالحاح المتواصل على سمعة بالقيل والقال ..

□ لكن المهم انه ظل يقود السفينة ويمخر بها عباب البحر الذى اشتدت امواجة ..

كذا نمسك بالمجاديف نساعده ، وبالاشرعة نسانده .. فقد كان الهدف عظيما وكبيرا ..

واذكر ان اولى لقاءاتى بالدكتور محمد شعلان استاذ الامراض العصبية والنفسية الشهير ، كان فى مدرجات ذلك المركز ، فقد كنت اشرح الموقف السياسى لمصر من بعض قضايا الشرق الاوسط .. وكنت المح شخصا باسما بلحيته البيضاء يجلس مع الدارسين .. كما كان منصور حسن مواظبا رغم مسئولياته الجسيمة على الجلوس مع الدارسين منصتا الى شرحى ...

والتقى بى الرجل ذو اللحية قائلا انه لاول مرة يجلس مستمعا لا محاضرا ، لمدة ثلاث ساعات دون كلل او ملل ...

فشكرته وتعارفنا واصبحت علاقتنا وطيدة بعد ذلك وحتى الان بعد عرفت انه مهموم بمصر كلها ..

□ كانت المحاضرات تجرى فى الصباح وفى المساء .. محافظة محافظة ، وسط كل العقبات التى يضعها صراع الفيلة ، من المحافظ والامناء ..

وكنت بالفعل غارقا فى خدمة هذا المركز .. اتواجد فيه ، سواء كان محاضرة او لم يكن .. ولذلك اتاح لى فرصة الدراية بكل مايجرى صباحا ومساء .

وكثيرا ماكنت انتقل بين مكتب منصور حسن بشارع حسن صبرى وبيته بشارع الجبلاية ومركز الدراسات فى روكسى ، ولا اعود الى بيتى إلا عند بزوغ الفجر تقريبا ، غير شاعر باى عرض من اعراض الاجهاد لدرجة ان كثير من زملائى بالجامعة كانوا كالعادة يحسبون آلاف الجنيهات التى كانت تتدفق فى جيبى من الحزب الوطنى أو الاذاعة !! مع اننى لم اصرف مليما واحدا عن اى مقال أكثر من من ثمانية جنيهات عن اى حديث اذاعى ولا اكثر من ثلاثين جنيها فى الشهر (بدل انتقال) عن اى نشاط فى المركز !!

لكن كان يلفت نظرى بشدة ـ ولايزال ـ هذا الحقد وذلك المستوى المتدنى من الاخلاقيات لدى اناس مفروض فيهم انهم (النخبة) او (الصفوة)!! فهم يلوثون بمنتهى الحماس ـ كل ناجح .. ويرثون ـ بمنتهى الحماس ايضا ـ لكل فاشل !؟

وكان يوما حزينا ذلك الذى رأيت فيه منصور حسن وقد تغيرت ملامحة .. كان غارقا فى التفكير .. يبدو علية الحزن والانشغال ..

وحتى الرابعة والنصف صباحا ، ظل يروى قصة الالام التى تشغله

□ انه بمعيار اقتصادى بحت ليس حريصا على العمل السياسى .. بل ان العمل السياسى قد حجب به مئات الالوف من مكاسب شركاته التى كان يوليها اهتمامه .. اى ان محصلة عمله السياسى هى خسارة اقتصادية فادحة ،

لصرح اقتصادى عريق تلقاه بالجهد والعرق عن والده ،منذ تاميم ممتلكاته عام ١٩٦٣ ..

وان اهتمامه بالعمل السياسى قد جلب علية فوق الخسارة المادية متاعب نفسية كثيرة ، كان هو فى غنى عنها .. لكن عليه ان يناضل من اجل خدمة عامه تصدى لها ، بكل ما اوتى من قوة ..

□ تصور .. هو يقول ـ وصل الامر او التآمر ، الله اعلم ، الى حد احداث وقيعة مقصودة داخل الرياسة !!

فقد قابله مندوب مجلة لبنانية شهيرة واجرى معه حديثا مطولا .. وانتهى الامر ..

لكن منصور حسن فوجىء بمانشتات المجلة تقول : الرجل القادم فى مصر يتكلم !!

ومرة اخرى تنشر المجلة : الرجل الثانى فى مصر يتحدث !! كان المعنى واضحا وحاسما .. وهو محاولة احراج منصور حسن امام السادات ، وحسنى مبارك نائب الرئيس !!

واكد منصور حسن انه لم يقل هذه العناوين وليس مسئولا عنها اطلاقا وشرح وجهة نظره فى الرياسة وهو ملىء بالهم والحزن .. مندهش من ذلك المستوى الذى يمكن ان يصل اليه المتآمرون ضده .

كان يدرك ان نائب الرئيس واسع الصدر جدا وان حسنى مبارك متفهم تماما .. لكن مشكلته ان هذا النشر الغريب تزامن مع احداث اخرى ، شعر فيها منصور حسن ، انه يدخل سردابا مظلما لايعلم مابداخله !!

ـ كانت هناك مسألة تحديد اختصاصات (نائب الرئيس) واختصاصات (وزير شئون رياسة الجمهورية) .. وقال لى منصور حسن انه رضى قانعا .. بان يقوم نائب الرئيس حسنى مبارك بتحديد الاختصاصات .. محاولا بذلك قطع الطريق على من يريدون الصيد فى الماء العكر ..

وكانت هناك مشكلة الخلاف الذى تصاعد بين المحافظين وامناء الحزب ، ووصل الى السادات .

ثم كان مالم يكن متوقعا ، وهو اطلاق اشاعة تقول ان منصور حسن يعد لانقلاب سلمى يتولى به السلطة عن طريق الحزب الوطنى بعد تطويره !!

□ هنا ادرك منصور حسن ان الرياح قد اتت بما لاتشتهى السفن ، وان عالم السياسة هو عالم الحيتان . وانه لن يستطيع ان يواجه هذه الموجة العاتية ، التى هزت صورته امام من يحبهم .. الرئيس انور السادات .. ونائب الرئيس حسنى مبارك ...

ثم بدا السادات ، (يتغير) فى تفهمه لتصرفات منصور حسن .. فقد كان ولوعا بايجاد جسور وخيوط بين الحكومة والمعارضة .. ومعارضا لعملية تحويل نقابة الصحفيين الى ناد مثل نادى القضاة وكان يقنع السادات بان تنشيط الحزب هو الكفيل بالحصول على الاغلبية وليس تعديل قانون النقابة ..

وفى يونيو ١٩٨١ وجد منصور حسن انه اصبح عاجزا عن تحقيق المهمة التى كلفه بها الرئيس وهى تطوير الحزب .. ووجد ان المتربصين به لن يسكتوا .. فقدم استقالته !!

وقد سألنى الرئيس السادات فيما بعد ـ عن هذه الاستقالة فقال لى وجهة نظره فيها ، مما ساعرضه فى مناسبته لكن المهم ان هذه الاستقالة اصابتنا فى مركز الدراسات بصدمة شديدة .. كما اصابت المركز بشلل لايزال من اثره طريح الفراش فى ميدان روكسى حتى الان رغم محاولات (الافاقة) التى بذلها الحزب بعد ذلك .. بسبب بسيط هو ان القاتل لايمكن ان يعيد احياء القتيل !!

■ ■ ■

فلما اصدر الرئيس تعديلا وزاريا محدودا ـ كما نشر يومها ـ خرج فيه النجم المضىء فى سماء مصر منصور حسن ، اصدر قرارا بتعيين منصور حسن وكيلا لمجلس الشعب .

ولكن منصور لم يمارس هذه المهمة ، وامتنع عن شغل الوظيفة مكتفيا بعضويته لمجلس الشعب ..

وذكر هو للرئيس ، انه لم يستطع ان يفعل شيئا يمسك بخيوط السلطة ، مدير المكتب الرئيس لشئون الحزب ووزيرا لشئون رئاسة الجمهورية ، ووزيرا للاعلام والثقافة فكيف يتمكن من فعل أى شىء ، وهو مجرد (وكيل لمجلس الشعب) .

وقال منصور ـ لا احب المناصب الصورية او الشرفية .. المهم عندى ان احقق نتيجة ..

□ لم يكن منصور حسن يدرك فى يونيو ـ ١٩٨١ ـ ان الله قد انقذه ـ بالخروج من الوزارة ـ من موت محقق !! فقد كان ملازما للرئيس يقف وراءه او بجانبه .. وكان حتميا . ان يكون واحدا من زوار المنصة وضحاياها فى ٦ اكتوبر ١٩٨١

روى لى منصور حسن ونحن جلوس فى شقته المطله على نيل الجزيرة والاسى يملأ عينيه .. احداث ماقبل المنصة ومابعدها .. ويبدو انه لم يكن مندهشا لما حدث بقدر ماكان حزينا ومكلوما .

كانت كل الظروف تكاد تؤدى الى المنصة فى ذلك الحين .. وانا ـ كاتب هذه السطور ـ اعلم ، ان مجموعة ممن كانوا حول الرئيس من بعض الصحفيين وبعض رجال الحزب كانوا شياطين توسوس له دائما .. فقد شاهدت وسمعت وعرفت كيف يتلقى الرئيس كثيرا من معلوماته !!

□ من اجل ذلك ، كنت اتوق الى يوم اتمكن فيه من عرض (الحقائق) على الرئيس .. وكنت قد مارست ذلك بكتابة مقال فى ١٨ سبتمبر ١٩٨١ فى جريدة (مايو) عن قرارات ٥ سبتمبر يؤكد ان بعض المسئولين يستحقوا ان يكونوا مع المعارضين متهمين بالحض على كراهية نظام الحكم !!

لذلك عندما حدثنى السادات عن هذا المقال ابدى اعجابه به وايمانه بمحتواه ..

لكن منصور حسن ـ بخبرته ـ نصحنى بالا اكون مخلب قط فى يد السلطة من المعارضة وان احافظ على استقلالى .. وكانت هذه النصحية فى حديثه معى عن اننى اكتب رايى حرا عن كل قيد .. وكان منصور يقول ، ربما لانك الآن خارج قيود الوظيفة .. لكن لو تسلمت مسئولية ما ، فقد تجد نفسك مقيداً ومكبلاً .. ووعدته بان انذر نفسى لحرية الفكر والرأى اختلفت او اتفقت على الحكومة او مع المعارضة المهم ان اكتب ما اعتنقته انا ..

□ فهل كان منصور حسن ، يعلم او يشعر .. ان السادات قد رشحنى مسئولا عن الاعلام والثقافة !! لم اعلم انا بذلك .. الا بعد اغتيال السادات .. فقد ذكر لى المرحوم الدكتور محمود هاشم المستشار القانونى بمجلس الشعب ان قرارا قد تم صياغته بتعيينى وزيرا للاعلام والثقافة ، كان من المنتظر اعلانه مع تغييرات كثيرة فى اكتوبر !!